
ساحر الكتب
المجذوب
محمود الجعيدي



المجذوب

****

قصة قصيرة

محمود الجعيدى



صرخة مسعورة تردد صداها بلا انقطاع خلف شاب في منتصف العمر
يلهث بلا انقطاع وهو يعدو داخل نفق حجري قديم.. كان النفق يستمد
إضاءته من مشعل قديم أوشكت نيرانه على الموت..
استند الشاب بظهره على الجدار الحجري محاولا التقاط أنفاسه
المتقطعة وهو يتلفت وراءه في انتظار المجهول القادم.. شعر أن النفق
ينبع من باطن الجحيم.. للحظة تمنى أن يكون كل ذلك مجرد كابوس
سيستيقظ منه بعد قليل لكن تلك الدماء التي تسيل من ساقه اليسرى
لخير دليل على واقعية ما يحدث..
مد يده يحاول كتم الدماء التي أغرقت قدمه وتركت خلفه خيط طويل من
اللون الأحمر.. شعر بشيء صلب مغروس داخل الجرح.. حاول إخراجه
بسرعة.. أطلق صرخة عالية وهو يخرجه قبل أن يرفعه أمام بصره
المذعور.. كان ناب ضخم اسود اللون.. ناب لا ينتمي من قريب أو بعيد لأي
مخلوق يعيش على أرضنا..
لم يمهله هذا الشيء سوى ثوان قليلة قبل أن تنطلق صرخة أخرى
غاضبة اصطدمت بوجه الشاب الذي اتسعت عيناه ذعرا قبل أن يتحرك
وهو يعرج قدميه مستندا على الجدار بصعوبة.. بدا له أن الممر ممتد إلى
غير نهاية..
لم يكن إحساسه صحيح، فبعد أمتار قليلة انتهى به الممر إلى حائط
مسدود..
لاحظ الشاب وجود عظام بشرية وجماجم مهشمة أسفل هذا الحائط..



أيقن الآن إن هناك آخرون انتهى بهم الطريق مثله ولم يجدوا
مهربا.. كانت
ما تزال أثار دماء جافة متناثرة هنا وتختلط ببعض اللحم الممزق
والأمعاء
المهروسة.
صوت خطوات ثقيلة تقترب ممتزجة بفحيح حاد.. التفت الشاب
نحو
الشيء القادم..
انتابه اليأس وسقط على الأرض متوسلا وطالبا الرحمة:
-أرجوك.. مكنش قصدي.. مكنش قصدي
كان الرد صرخة غاضبة..
غاضبة جدا.
تابع الشاب الأنياب البشعة والمخالب المخيفة وهي تقترب منه..
السطر
الأخير في حياته على وشك أن يكتب.. ثم سكن كل شيء
بغتة.. ثوان
وأطلق الشاب صيحة الم وصل مداها حتى بداية ونهاية الأرض،
بعدها ران
صمت ثقيل داخل الممر.. صمت لم يقطعه سوى صوت أسنان
تقطع..
وتمضغ

انطلق صوت كلاكس تقليدي لسيارة المانية الصنع حين توقفت
أسفل
عمارة قديمة، أكل الزمن طلاءها الخارجي وأضاع ملامحها..
داخل السيارة كان يجلس (عصام) خلف مقود القيادة.. عصام هو
الابن
الوحيد لتاجر سيارات ثري مات منذ عام وترك له ثروة كبيرة..
بالنسبة له
كانت الحياة هي مغامرة مثيرة يحب الخوض فيها بلا خوف أو حذر



بجوار عصام كانت تجلس (فاتن).. فاتن هي الصديقة أو الحبيبة بالنسبة
لعصام.. التقى بها منذ بضع أشهر قليلة.. لا يعرف عنها الكثير سوى إنها
جميلة جدا.. كان هذا أكثر من كاف بالنسبة له..
عاد عصام يضرب الكلاكس وهو يزفر بحنق بالغ:
-كريم ده مبيجيش من وراءه غير وجع الدماغ
أطلقت فاتن ضحكة ناعمة قائله:
-طيب ما كنت تطنشة
أجاب وهو يشعل سيجارة:
-كريم بالنسبة ليا مش مجرد صاحب.. ده أخ.. وأنا مقدرش ارفض له
طلب
-خلاص اصبر وخلينا مستينا
ردد:
-اه.. خلينا مستنين.
وعاد يطلق الكلاكس من جديد

داخل العمارة وتحديدا الدور الثالث علوي كانت والدة كريم تغلق أمامه باب
الخروج بجسدها وهي تقول بإصرار:
-مش هتروح.. كفاية اللي حصل لآخوك
قال كريم برجاء وهو يحاول إزاحتها برفق من أمام الباب:



-ارجوكي يا أمي.. أنا لازم اروح
-كريم
جاء هذا النداء مرتعشا من وراء باب غرفة مغلقة.. التفت كريم نحوه
باسى في حين قالت الأم:
-طيب مش هتشوفه قبل ما تمشي
ترقرقت الدموع في عينه وهو يجيب:
-مش قادر اشوفه وهو بالحالة دي
-كريم
عاد الصوت من جديد لكن هذه المرة جاء متوسلا..
دار كريم ببصرة عدة مرات بين والدته والباب المغلق.. اقترب من الغرفة
المغلقة وهو يجيب:
-نعم يا عماد.. عاوز حاجة
قالها وتوقف أمام الباب دون أن يمد يده نحو القفل الضخم الذي يغلقه..
-اه.. عاوزك
ابتلع كريم ريقة ثم مد يده محاولا فتح القفل.. جاء صوت الأم مرتعشا:
-بلاش ممكن الحالة تيجي له فجأة ويذيك
لم يلتفت لكلامها وفتح الباب بإصرار..
في الداخل كان الظلام يسود المكان.. نادى:



أنت فين يا عماد
اجابة فحيح مخيف وهمسات مكتومة تأتي من كل مكان.. مد يده يبحث
عن مفتاح الإنارة.. تحسس كثيرا الجدران بحثا عنه بلا فائدة.. تسأل في
قراره نفسه عن أي شيء مخيف أخفى مكانه.. ثوان ولمست أنامله
مفتاح الإنارة.. قبل أن يضغط عليه قبضت يد قاسية على معصمه بغل
وظهر أمامه زوج من الأعين الحمراء المخيفة.. حاول أن يخلص نفسه منها
بصعوبة لكن يد أخرى قبضت على عنقه ورفعته في الهواء.. تحشرج صوت
كريم وعجز عن طلب النجدة.. ضرب بيديه وقدميه في الهواء.. كان يعجز
عن روية مهاجمه لكنه واثق من انه أخاه عماد
-لازم تموت .. لازم تموت
استطاع كريم تمييز صوت أخاه عماد كأنه يأتي من مكان بعيد.. حاول أن
يحدثه لكن الهواء كان يتناقص من رئتيه بسرعة مما جعله على وشك
الموت..
سطع النور فجأة وظهرت الأم وهي تمسك كشاف إضاءة صوبته في وجه
عماد الذي بخ في وجهها كالذئب قبل أن يفلت كريم من يده ويسقطه
على الأرض، ثم يجري على يديه وقدميه ويختفي أسفل احد المقاعد..
-أنت بخير
قالتها الأم وهى تحاول رفع كريم الذي ازرق وجهه.. اؤما برأسه دلاله
على الإيجاب، وهو ينظر إلى أخاه بأسى بالغ.. كان عماد مستمر في
البخ كالحيوان وقد نما شعر رأسه ولحيته واستطالت أظافرة على نحو
بشع



استمرت الأم في تصويب الكشاف على عماد حتى خرجوا من الغرفة
واحكموا إغلاقها من جديد..



خرج كريم دون أن يتبادل مع والدته كلمه أخرى.. وبينما هو يسير نحو
سيارة أصدقاءه التي تقبع في انتظاره كان يقبض في يده على صورة..
صورة لفتاة تبدو كملاك انزل على الأرض، لكن الغريب أن الوان تلك الصورة
كانت ممتزجة بدماء..
دماء أناس تاهت أرواحهم

القي كريم تحية سريعة على عصام وفاتن قبل ان يحتل مكانه في
المقعد الخلفي..
انطلق عصام بالسيارة وهو مستمر في تدخين سيجارته..
سعلت فاتن
وفتحت النافذة قائلة بضيق:
-كفاية بقى سجاير خنقتني
ابتسم عصام:
-الرأس اللي من غير كيف متستحقش تبقى على الكتاف
-جكيم زمانك يعني
قالتها فاتن بسخرية ثم انتزعت منه السيجارة و القتها من السيارة..
رماها عصام بنظرة غاضبة وحاول أن يقول شيء ما يعبر به عن غضبه
لكنه لمح التوتر الذي يعبث في وجه كريم.. التفت ناحيته قائلا:
-مالك يا صاحبي
-مفيش
-مش هتقوللي ليه أنت مصمم إننا نروح المولد ده



صمت كريم لبعض الوقت دون أن يجيب.. عاد عصام يسأل:
-سكت ليه
اخرج كريم الصورة وناولها إلى عصام.. اتسعت عينا عصام وهو يرى جمال
من في الصورة قائلا:
-اوبا.. إيه الحكاية بالضبط.. قصة حب ولا إيه
ثم ناول الصورة إلى فاتن التي نظرت إليها بلامبالاة ثم قالت ممتعضة:
-مش حلوة أوي عشان تهبلك كدا
انتزع منها كريم الصورة:
-أنا هحكي ليكوا كل حاجة.. طبعا انتواعارفين اخويا عماد
اؤمات فاتن برأسها بالإيجاب بينما قال عصام:
-أكيد طبعا.. هو رجع من السفر ولا لسه
-هو مسافرش من الأساس.. عماد اخويا السنة اللي فاتت راح هو واتنين
أصحابة للمولد اللي بيتعمل في البلد اللي جنبنا كل سنة تحت سفح
التل الأحمر.. في المولد ده اختفى أصحابة الاتنين.. اما عماد رجع.. رجع..
كرر هذه الجملة عدة مرات فصاحت فاتن بنفاذ صبر:
-رجع ماله
-رجع مجنون.. اه.. عصام اخويا اللي كانت دماغه توزن بلد رجع من هناك
مجنون.. حاولنا نعالجه لكن مكنش فيها فايدة.. خبينا عن الناس حقيقة
مرضه وادعينا انه سافر.. الغريب إن عصام كان دايما ماسك في أيده



صورة، ورافض انه يعطيها لأي حد.. قدرت إن اخد الصورة منه بصعوبة.. دي
الصورة اللي انتوا شفتوها دلوقتي..
شهقت فاتن بينما استطرد كريم:
اخويا عماد حصل له حاجة رهيبة في المولد ده.. هو سمع أو شاف حاجة
كان المفروض انه ميشفوهاش أو يقرب حتى منها

-الله حي.. الله حي
من بعيد ظهر التل الأحمر مرعبا وسط ظلام الليل ومن خلفه يبدو القمر
شاحبا مستسلما لدورته الأبدية حول الأرض..
أسفل سفح الجبل كان المولد يبدو كخلية نحل اختلطت فيها الأصوات
والإشكال والألوان..
أصوات التواشيح كانت تنطلق بلا توقف..
أمام مدخل المولد توقف عصام بسيارته.. نزل الثلاثة ينظرون حولهم في
انبهار ورهبة..
مرت بجوارهم أمراه تبكي وهي تحمل ابنها المريض.. تردد بلا انقطاع:
-مدد يا سيدي.. اشفي ابنك وداوية من اللي هو فيه
جري سايس عجوز نحو السيارة وقال بخبث:
-أتفضلوا يا بهوات.. هتنبسطوا أوي
ناوله عصام ورقة نقدية متوسطة القيمة ليتأكد من رعايته للسيارة..



دخل الثلاثة المولد..
أصوات المراجيح وضحك الأطفال لا ينقطع..
أمامهم رجل يرتدي جلابية بيضاء فوق رئسه عمامة خضرا كبيرة ويمسك
مقص تتساقط منه قطرات الدماء.. أمراه تحمل ابنها ذو العامين وتناوله
إياه.. الرجل يكشف عن ما بين ساقي الفتي ثم يكبر عاليا.. يتنهي من
طهور الولد الذي يبكي من الألم ثم يرفع المقص عاليا فتزغرد الأم ثم
تتلقف ابنها بين ذراعيها..
كاد كريم أن يفرغ ما في معدته حين شاهد ذلك بينما صاحت فاتن وهي
تضع منديل فوق انفها:
-ايه القرف ده
مضى الثلاثة داخل المولد يبحثون عن الفتاة التي بصورة.. زحام البشر
كان لا يطاق.. أراد عصام أن يخبر صديقة أن مسالة العثور على الفتاة هو
ضرب من ضروب المستحيل..لكن استوقفه صف طويل من الدروايش عبر
أمامهم وهم يحملون أعلام خضرا كبيرة ويرتدون جلاليب بيضاء مطرزة
يدويا ببعض النقوش والعلامات التي تدل على طائفتهم.. راحوا يوزعون
الطعام على الفقراء ويرددون بلا انقطاع:
-الله حي.. الله حي
فجأة قفز أمامهم مجنون تقافز كالقرد وضحك مثل النسناس.. حاول أن
يمسك فاتن التي صرخت مفزوعة.. امسكه عصام ثم دفعه أرضا وهو
يطلق سبه بذيئة:



قهقه المجنون ثم راح يدور حولهم وهو يصرخ.. تابعه الثلاثة بتوتر وتحفز..
حاول ان يمسك فاتن مرة أخرى التي احتمت وراء كريم في حين ركله
عصام في معدته بقسوة فهرول مبتعدا يئن من الالم..
صرخت فاتن بهستيريا:
-أنا عاوزه اخرج من هنا.. عاوزه اخرج من هنا
قال كريم:
-خلاص يا عصام.. خدها أنت وارجعوا وأنا هكمل لوحدي.. متشكر لغاية
كدا
حاول عصام أن يقنع فاتن بإلقاء لكنها رفضت بإصرار..
تركهم كريم منعا للحرج واستمر في بحثه.. تابعه عصام ببصره حتى
اختفى بين أمواج البشر.

سحب عصام فاتن من يدها وهو يقول:
-كدا هتزعلي صاحبي مني
لم تجيبه واكتفت بإصدار همهمة بلا معنى
-قرب.. قرب.. قرب.. خش وأتفرج على شجيع السيما والساحر وعروسة
البحر.. يلا يا بيه.. يلا هانم
التفتت كلاهما نحو مصدر الصوت.. كانت عربة سيرك ضخمه تتحرك ببطء..
بدت اشبه بوحش أسطوري هائل خرج من أسطورة قديمة..
توقفت العربة



في منتصف المولد وبدا الناس في الالتفاف حولها.. ابتسمت فاتن وهي
تغمز بعينها اليسرى لعصام قائلا:
-تيجي ندخل
سألته ولم تنتظر إجابته.. جذبته من يده نحو السيرك.. صاح باستنكار:
-يا مجنونة
داخل السيرك شعر عصام انه انتقل إلى فيلم قديم بالأبيض والأسود..
اصطف المتفرجون البسطاء على كراسي خشبية متهالكة بينما راح
الأطفال يصفقن ويهللن بلا انقطاع..
كانت ملابس عصام وفاتن كفيلة بجذب انتباه وفضول الموجدين الذين
تمنى بعضهم أن يكونوا من ضمن فقرات السيرك..
اتخذا عصام فاتن مجلسا بعيدا بعض الشيء.. كانت فاتن تقبض على
كتف عصام بخوف.. ربما لو تركته لتلقفتها الكثير من تلك العيون الجائعة
والأيدي التي تحلم بلمسها واغتراف جمالها..
اشتمل العرض على عدة فقرات جميلة كان من بينها المهرج ومروض
الحيوانات ولاعبي الأكروبات... الفقرة الأخيرة كانت الساحر.. أطفئت نصف
أنوار القاعة ثم انطلقت موسيقي قوية مخيفة.. دقيقة ودخل الساحر..
كان ضخم البنية، يرتدي قميص فضفاض، ويضع على كتفه عباءة كبيرة
مصنوعة من الريش وفي نهاية تلك العباءة كانت توجد عيون.. لم يستطيع
عصام تميز ما إذا كانت تلك العيون حقيقية آم إنها مجرد رسوم.
صفق الجميع اثر هذا الدخول المبهر ثم بدا الساحر فقراته التي حيرت
عقول الموجدين..
أعلن الساحر عن فقرته الأخيرة والهامة.. (عروس البحر(
ثم سمع الجميع صرير عجلات حديدية تتحرك بعدها ظهر قفص



زجاجي
شفاف يجره ثلاثة من المساعدين فوق عربة حديدية صغيرة..
في تلك اللحظة شهق الجميع.. ليس لان الفتاة الموجودة في
القفص
هي أجمل فتاة في الكون ولكن لان مكان القدمين كان يوجد
ذيل.. ذيل
طويل يتلوى كالثعبان
اما في الناحية الأخرى فقد ارتفعت دقات قلب عصام والتفت نحو
فاتن
التي رآها تنظر إليه بانزعاج.. كانت عروس البحر الموجودة في
القفص
هي الفتاة التي يبحثون عنها.

الله..الله.. الله
توقف كريم أمام حلقة ذكر اكتظت بالمشايخ الذين راحوا يرددون
لفظ
الجلالة بلا انقطاع وهو يتمايلون جهة اليسار طارة وجهة اليمين
طاره
اهرى.. تابعهم ببصره وقد استبد به التعب والإرهاق..
ضحكات كانت تأتيه من كل مكان لا يعرف من يطلقها.. دار حول
نفسه
ومن حوله القمر يدور
صرخة مفاجئة قبل أن يقفز أمامه الرجل المجنون.. ظل يدور حول
كريم
كالقرد ثم راح يردد:
-متروحش هناك.. اللي بيروح مبيرجعش.
-أنت عاوز إيه بالضبط
ظهر العقل والذكاء فجأة على وجه المجنون وتكلم بصوت طبيعي:
-ربنا خفى عنا حاجات كتير.. كان أخرها اللي جوه الموالد



لم يفهم كريم ما يعنيه..فكر أن يعطيه حسنه لكن قطع تفكيره رنين هاتفه
المحمول.. على الطرف الآخر جاءه صوت عصام متوترا وعصبيا:
كريم.. تعال بسرعة السيرك.. في حاجه لازمه تشوفها
وقبل أن يسأله عن ما هيئة هذا الشيء أنهى المكالمة.. تعجب قليل ثم
رفع بصرة نحو خيمة السيرك التي راحت تشع من أنوار من كل لون.. ناول
المجذوب ورقة نقدية ثم اتجه نحو السيرك ومن وراءه كانت كلامات
المجذوب تطارده:
-متروحش هناك.. اللي بيروح مبيرجعش.

وصل كريم حيث يجلس عصام وفاتن وفي عقله عشرات الأسئلة.. ابتلع
كل تساؤله حين شاهد الفتاة الموجودة بالقفص.. اخرج الصورة التي في
جيبه ليتأكد أن عيناه لا تخدعاه.. كان التطابق بينهما يبلغ نسبة مائة في
المائة..
أشار له عصام أن يجلس ويتابع.. كان الساحر في هذا الوقت يقوم بضخ
الماء في الصندوق الزجاجي حتى امتلأ تماما.. راحت الفتاة تتلوى بذيلها
داخل القفص وتسبح.. كان مستحيل على أي بشري أن يتحمل البقاء
تحت الماء كل هذا الوقت.. وأخيرا احضر الساحر جردل ضخم تتساقط منه
قطرات دماء.. مد يده واخرج سمكه كبيرة.. رفعها أمام الفتاة التي صرخت
عاليا.. ألقى لها السمكة فانقضت عليها تلتهما في شراسة وسط ذعر
الموجدين قبل ان تملا الدماء الحوض وتختفي الفتاة داخلها و..
وأطفئت الأنوار كلها فجأة فصرخ الكل..البعض نهض من مكانه يردد
السباب البذيء بشان عودة الأنوار والبعض راح يضحك في جنون..
دقائق



وحين عادت الأنوار كان المسرح نظيفا وخاليا.. فقط الساحر يقف في
منتصفه ويحرك لهم يده لتلتهب الأيدي بالتصفيق

-أنا لازم اوصل لها باي طريقة
قالها كريم وهو يقف مع فاتن وعصام خارج أبواب السيرك..
كان التوتر واضحا على فاتن بينما كان عصام يشعر بكثير من الإثارة
والحماس.. سأل كريم:
-تفتكر دي عروسة بحر بحق وحقيقي
هز كريم رأسه نافيا وقال:
-آنت مجنون.. كل دي خدع والعاب
-بس تحس إنها حقيقية قوي
-طيب اسكت دلوقتي وخلينا هنشوف هنعمل ايه
تسلل الثلاثة خلف خيمة السيرك حتى وصلا إلى غرف العاملين.. كانت
عبارة عن غرف خشبية تم نصبها بنظام شديد..
راقب الثلاثة بعض العمال وهم يجرون القفص الزجاج وقد تم وضع غطاء
ضخم من الخيش فوق ليخفي ما داخله.. ادخل العمال القفص إلى ما
يشبه مخزن ضخم
انتظر كريم حتى غادر العمال ثم اقترب من المخزن طالبا من فاتن وعصام
المراقبة وتنبيهه في حالة قدوم احد..



دخل كريم إلى المخزن.. استقبله ظلام شديد وفحيح حاد.. أشعل
كشاف هاتفه.. كان القفص ساكن كالموت.. مد يده وأزاح عنه الغطا..
شهق مفزوعا.. في الداخل كانت توجد الفتاة جالسة تحدق فيه بغضب..
ابتلع ريقه بصعوبة.. جمالها كان أخاذ لكنه يبدو قاتلا مثل جمال زهرة
سامه.. نهضت الفتاة من جلستها واقفة.. كانت تمتلك قدمان عاديتان..
قالت بصوت ناعم:
-خرجني من هنا
رفع صورة اخاه في وجهها:
-تعرفي صاحب الصورة دي
تمعنت في الصورة قليلا ثم أجابت بحسم:
-آه
-وتعرفي إيه اللي حصل له بالضبط
-اه
-قوللي كل حاجة
دارت داخل القفص للحظة ثم نظرت في عينية وأجابت:
-أنا (تيجانا) الساحر اللي حبسني ده من أحفاد سحرة فرعون اللي
جمعهم يوم الزينة لمحاربة سيدنا موسى.. اسمه (جبار).. جبار حابسني
ومسلط على تعويذة سحر اسود عشان اخدمه.. المولد اللي فات أخوك
دخل هنا وحاول ينقذني لكن جبار لحقة ورمى عليه سحر فتح لها القفص وهو يقول:



-والسحر ده ممكن نبطل مفعوله
لم تجبه.. كانت تنظر إلى باب القفص المفتوح بخوف.. لاحظ كريم ذلك..
استطرد:
-مالك.. اخرجي
خطت خطوه بحذر.. اتبعتها بالثانية.. حين صارت خارج القفص التفتت نحو
كريم:
-اه.. نقدر نبطل السحر ده
ولم تكد تنطق بها حتى دوت صرخة عالية أعقبها رنين هاتفه

في الخارج كان عصام يراقب بملل.. لاحظت فاتن ذلك فقالت:
-هو اتاخر صح
اؤما برأسه..لاحظ خروج الساحر من غرفته وتحركه باتجاه المخزن.. اخرج
هاتفه واتصل على كريم وقال جمله واحده:
-الساحر داخل عليك
ثم أغلق الخط وجذب معه فاتن التي صاحت:
-رايحين على فين
أشار نحو غرفة الساحر.. قالت:
-انت مجنون
ابتسم وأجاب:



-متخفيش.. عاوز بس اعرف الخدع بتاعته
ثم فتح باب غرفة الساحر ودخلا قبل أن يلاحظهما احد..
في الداخل كانت الرائحة كريهة لا تطاق.. وضعت فاتن يدها على انفها
في حين راح عصام يتأمل ما حوله في انبهار.. كانت عباءة الساحر
الضخمة معلقة فوق شماعة تتوسط الغرفة.. أيضا هناك أقفاص صغيرة
كانت ملئيه بكائنات تشبه القرود لكنها كانت أكثر بشاعة.. فوق مائدة
صغيرة كان يوجد كتاب ضخم مصنوع من الجلد.. تحسسه عصام فبدا له
ملمسه مقززا.. فتح الكتاب على منتصفه.. لم يفهم الكلام المكتوب
بداخله.. لم يفهم الرموز الموجودة بداخله.. فقط هو فهم انه مكتوب بدماء
بشرية..
إثناء ذلك عثرت فاتن على علبة خشبية صغيرة حاولت فتحها لكن قوتها
لم تسعفها.. تناولها منها عصام وبكل ما امتلك من قوة أدار الغطا وفتح
صندوق..
فجأة اندفعت بودرة سوداء في وجه عصام.. البودرة تسللت إلى انف
عصام وأحرقت عينه فصرخ وسقط أرضا يتلوي من الألم.. لم يشعر بفاتن
التي حاولت أن تساعده ولم يسمع صراخها المذعور:
-مالك يا عصام.. استر يا رب
في تلك اللحظة شعر عصام بنار في جسده..
نار بلا وهج..
ارتج من أعماقه وكأن شيطانا اقتحمه وسيطر روحه.. بعدها أطلق صرخة
عالية



حين استقبل كريم اتصال عصام جذب تيجانا وهرول نحو نافذة
في آخر
المخزن..
قفز كلاهما من النافذة.. أمامهما مباشرة كان سفح الجبل يغطي
كل
شيء.. أشارت تيجانا نحو سفح الجبل:
-تعال ورأيا
اتبعها كريم وهو لا يعلم إلى أين ستنتهي به.. التفت وراءه
فشاهد جبار
يخرج رأسه من النافذة ويتوعده بالألم والعذاب الأبدي
توقفت تيجانا أمام مقبرة ضخمة امتلأت بشواهد القبور.. توتر
كريم بينما
صوت عواء ذئب يأتي من بعيد
أشارت له بان يتبعها.. سال بخوف:
-إحنا رايحين على فين
-جبار بيدفن كل الأعمال بتاعته جوه جسم انسان ميت داخل
مقبرة
هنا.. لو عاوز تحل السحر اللي على أخوك لازم تخرج العمل من
جسم
الميت وتحرقة
سألها:
-فين القبر ده
توقفت امام قبر مصنوع من الطوب الأحمر القديم وأشارت عليه:
-هو ده
قالتها وهبت عليهم ريح ساخنة كادت أن تحرق وجه كريم اتبعها
عواء
ذئب.. محيف



دار عصام حول نفسه وقد بدا يستعيد الروية لكنها كانت مشوشة جدا..
كان أشبه بمن يسير وسط ضباب كثيف.. لم يجد فاتن من حوله.. نادى
عليها:
-فاااااااتن
ردت عليه ضحكة خبيثة..
عاد يدور حول نفسه في ذعر..
وجد نفسه داخل كهف صخري بلا مخرج..
الضحك الخبيث يتردد من جديد..
جري بكل ما يستطيع قوة..
فجأة اعترض طريقة شخص ما.. لم يكن يستطيع تمييز ملامحه.. صاح
بخوف:
-انتم مين
دنا منه الرجل حتى ارتطمت أنفاسه الباردة بوجه عصام:
-أنا يا عصام
جحظت عينا عصام وهو يحدق في الوجه ويستمع للصوت.. كان هذا هو
وجه وصوت والده بلا شك..
فرد الأب كلتا يديه لكي يحتضن عصام.. حين أراد عصام أن يلقي بنفسه
بين ذراعية لاحظ انه يمتلك أعين مشوقة بالطول.. أعين اقرب لعيون
الثعابين أو..
أو الشياطين



أزاح كريم باب المقبرة بصعوبة فظهر من خلفها ظلام دامس..
أضاء كشافة وبدا في النزول ومن وراءه تيجانا..
المشهد من الداخل كان مفزعا..
عظام كثيرة منثورة داخل المقبرة..
الجماجم تخرج من وسط التراب فاغرة الأفواه كمن تصرخ..
سمع كريم صوت أنفاس تيجانا عاليا أكثر من الطبيعي..سألها:
-انتي بتنتفسي كدا ليه
التفتت إليه قاله:
-ده مش صوت نفسي
جحظت عينا كريم وهو يلتفت نحو مصدر الأنفاس.. ومن بين الظلام راح
يتجسد أمامهم مخلوق شيطاني



-تعال يا عصام.. متخفش
دفع عصام والده أو الشيء المتجسد في هيئة والده بعيدا وانطلق يعدو..
اطلق الشيء صرخة غاضبة ثم انقض على عصام بلا رحمة..
تطوحا الاثنان سويا في الجدران حتى سقط كلاهما أرضا..
كان الخوف والرعب قد بلغ من عصام مبلغه..
وبكل ما أوتي عصام من قوة راح يعتصر عنق هذا الشيء وهو يصرخ بلا
توقف..
خدش الشيء وجه عصام وهو يحاول الإفلات من قبضته لكن هيهات
فعصام كان كالوحش الذي لا يرحم..
لحظات وتوقف الشيء عن الحركة..
تنفث عصام الصعداء وقد تخلص منه أخيرا..
تدريجيا بدأت الروية تتضح جيدا أمام عينية وبدا يستعيد كامل حواسه..
اختفى الضباب الذي كان يحيط به وانكشف كل شيء..
تلفت حول نفسه فكان ما زال موجودا في غرفة الساحر..
تحت قدمه مباشرة كان يقبع الشيء الذي قتله..
سقط قلب عصام من ضلوعه وكادت روحه أن تخرج منه..
تحت قدمه مباشرة كانت تقبع جثة فاتن وهي جاحظة العينين وسمات
الذهول والفزع ما تزال محفورة فوق وجهها..
سقط فوقها عصام منهارا وهو غير مصدق انه قتلها..
وبكل قوته أطلق صرخة هادرة..
صرخة ملئيه بالحسرة
-لااااااااااا



داخل المقبرة راح يتجسد مخلوق مخيف سد باب الخروج، وأخفى شعاع
القمر الذي كان يتسلل من خلاله.. في نفس الوقت اهتزت الأرض فجأة
تحت قدمي كريم وكأنها ستبتلعه..
بلا ذرة تفكير جذب تيجانا من يدها ودخل بها إلى ما يشبه نفق موجود
داخل المقبرة..
لم يكن يعلم إلى أين سينتهي به..
من ورآهما دوت صرخة هادرة مرعبة اهتز لها الممر..
بعد كثير من الجري وصل كريم وتيجانا إلى نهاية النفق المسدود..
ضرب كريم الجدران بيده وهو يصرخ بحسرة..
التفت نحو تيجانا التي كانت ساكنة كتمثال حجري..
تناول حجر ضخم واستعد لملاقاة الشيء القادم وهو يهتف:
-مهما كان اللي هيظهر أنا مش هكون صيده سهله له
ولم يكد يقولها حتى سقط على الأرض اثر ضربه قوية فوق رأسه..
دارت به الدنيا وكاد أن يفقد الوعي..
حاول أن ينهض لكن أسنان حادة نهشت في صدره واقتطعت منه قطعة
لحم كبيرة فصرخ من الألم..
ترجع كريم على الأرض زاحفا بظهره وهو ينظر إلى من كان هاجمه..
كانت تيجانا..



وأمام بصرة المذعور راحت تلوك قطعة اللحم التي انتزعته منه بتلذذ
وتلعق دماءه بلسانها الذي صار مشقوقا كالثعابين..
صاح من الألم والصدمة:
-انتي
وبينما هو يتراجع إذا اصطدام بشيء ما خلفه..
كان الساحر وقد ارتدى عباءته الضخمة..
تبادل كريم النظر بين تيجانا والساحر..
-انتوا ايه
ضحكت تيجانا بشراسة بينما قال الساحر وهو يدنو بوجهه منه:
-اسمي المامؤن.. جني من الأبالسة.. ودي تيجانا.. عفريته. احنا الاتنين
اتلعنا من ملك الجن، واتحكم علينا نعيش في توب البشر.. ولأننا مخلوقين
من النار فالجسم البشري اللي إحنا على هيئته مبيستحملش اكتر من
سنة.. وعشان نقدر نعيش فيه، لازم كل سنة ناكل قلب انسان في قلب
المقبرة دي، ولازم يكون داخل بإرادته.
التفت كريم إلى تيجانا:
-يعني حكاية إن اخويا حاول يهربك دي كذب
أطلقت تيجانا ضحكة عالية:
-أخوك شافنا وإحنا بناكل صاحبة ولان محرم علينا إننا نقتل اكتر من واحد
من بني الإنسان فالقينا علية تعويذة خليته مجنون
وعندما انتهت من جملتها انقلبت هي والمأمون من هيئتهم البشرية إلى
هيئة الجن المساخيط..
صرخ كريم من جديد وهو يري أكثر الوجوه بشاعة ورعبا في حياته..
حاول أن يزحف لكن تيجانا والمأمون أحاطاه وقد برزت مخالبهم وسال الزبد
من أسنانهم، بعدها دوت صرخة أخيرة من كريم، ثم سكن بعد ذلك كل
شي.. سكن تماما



عصام.
في نهاية الليلة تلك كان عصام ملقى على الأرض بلا حراك، زائغ النظرات، وقد جن تماما وتمزقت ثيابه التي تلوثت بالدماء.. راح يهلوث بلا
توقف ويخاطب أشخاص غير موجدين واشباح مموهة من العدم.
-الله حي.. الله حي.. الله حي
مر من أمامه صف طويل من الدراويش.. ظل يراقبهم من مكانه وهو يئن
حتى ابتعدوا.. قبل أن يغيبوا عن نظره قفز واقفا من مكانه ثم جري
خلفهم حتى أدركهم وانضم إليهم في آخر الصف.. وبكل قوته راح يتطوح
يمينا ويسارا وهو يردد من خلفهم:
-الله حي.. الله حي.. الله حي
تمت